

## الدور الإعلامي لنساء الطف [السيدة زينب (ع)]

أ. د. دلال عباس - الجامعة اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مذ كنت طفلاً حفظتُ ما كانت تردد़ه والدتي كلّ عاشوراء مما أوصى به الإمام الحسين عليه السلام السيدة زينب سلام الله عليها : " يا أختي إنّي أقسمت عليك ، فأبكي قسماً ، لا تشقي عليّ جيّباً ، ولا تخشي عليّ وجهها ، ولا تدعني باللويل والنbor إن أنا قتلت". كما حفظت عباراتٍ من خطبة العقيلة في مسجد يزيد ... لكنّ ما كنت أسمعه في مجالس العزاء مما يقوله القراء والقارئات كان مختلفاً ومتناقضاً لما رسم في ذهني ، وزينب التي تصوّرها مجالسهم ، تختلف عن صورة زينب المثال التي انرسمت في ذهني طفلاً ، وعزّزتها قراءاتي شابة ، لقد كان ذلك التيار الذي يصوّرها امرأة بکاء لا حول لها ولا طول كما يصوّر أبطال كربلاء يستجدون قطرة الماء ، أشدّ تأثيراً وفاعليّة وجماهيرية . كنت أتساءل ، متى ستُعاد الأمور إلى نصابها ؟ ومتي سيُفهم الدور الذي أدته نساء الطف بعيداً من الصورة النمطية التي رسّختها في الأذهان الحكايات الشعبية طيلة قرون متتمادية .

الجواب جاء على لسان قادة الثورة الإسلامية في إيران ، وقد كنت شاهدة على أحداثها من قرب ، ورأيت بأمّ عيني النساء الزينبيات ، يتقدمن صفوف المتظاهرين ، ويُستشهدن من أجل إحياء الدين المتمثل بانتصار الثورة ، ومن ثم يحرضن أبناءهن على المشاركة في الجهاد المقدس... لقد أعادت الثورة الإسلامية منذ اثنين وأربعين عاماً صورة زينب الحقيقية لتملأ قلوبنا وجوارحنا لم تبدأ القصة: قصّة الانقلاب النهائي على الدين وأركانه في كربلاء ، لقد بدأت منذ تلك اللحظة التي أعلن فيها معاوية الحرب على علي (ع) ، ثم نقضه بعد ذلك العهد الذي أتعهده الحسن عليه السلام ، وإعلانه في العام الذي سُمي زوراً عام الجمعة (41-663هـ) ، حين جمع الناس في مسجد المدينة المنورة وخطب فيهم ، معيناً بصراحة ومن دون أدنى مواربة ، أنه لا يأبه بهم وأنه لن يسير على خطى الخلفاء السابقين ولم يذكر علياً لأنّه لم يعترف بخلافته . كان من الطبيعي والبديهي أن يرفض الإمام الحسين (ع) البيعة ليزيد ، ولو فعل ، لما كان هنالك إسلام ولا مسلمون ، ولو لا استشهاد الحسين ، لما قامت كل تلك الثورات التي قوّضت العروش ، أو على الأقلّ أقضّت مصاحع الحكام الجائرين ، وبشعار " هيئات منا الذلة " سقط عرش ملك الملوك ، وأذلَّ العدوّ الإسرائيلي ، وهزم الدواعش ...

نعم ما كان دين محمد ليس تقيّم إلا بقتل الحسين عليه السلام ، وما كان استشهاد الحسين سيعطي ثماراً لو لم تسبى النساء ، ولم تقف زينب عليها السلام متحديّة عبيداً الله بن زياد ، ويزيداً الملك نفسه ... وقد نجح الإعلام المضلّ في

الكوفة وفي الشام، في تصويرهم خوارج وكفّارا خرجوا على سلطة الخليفة، والناسُ دائمًا كما صوّرُهم الإمامُ عليٌ عليه السلام، عالِمٌ ربّاني ومتعلمٌ على سبيل نجاة [وهؤلاء قلة]، وهمجُ رُعاع يسيرون وراء كلّ ناعق والناعق في ذلك الحين كان عملاً للحكم الأمويّ وفقهاؤه، والناعقُ اليوم وسائل الإعلام بقضّتها وقضيضها، أو هم كما قال الإمام الحسين عليه السلام : "الناس عَبِيدُ الدنيا والدين لَعْنَ على ألسنتهم يُحيطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحصوا بالبلاء قَلَ الديانون".

صباح يوم الاثنين الثالث عشر من المحرّم كان دخول السبايا مع العسكر إلى الكوفة؛ لما رأت السيدة زينب بكاء النسوة ونشيج الرجال العجائز، عزّ عليها ما رأته منهم . فأشارت عليهم بيدها، فسكتت الأصوات وهدا النشيج، وبدأت تخطبهم بقوارص الكلام الزينبي المنطلق من فمها بفصاحةٍ محمديّة، حتى قال من سمعها (خريم بن بشر الأسدّي): نظرت إلى زينب بنت عليٍّ عليهما السلام فلم أرَ خَفِرَةً أنطق منها

هذه الخطبة الأولى للعقيلة زينب عليها السلام فعلت فعلها في خلخلة البنية الفكرية للجماهير الكوفية، التي كان الإعلام الأموي قد دفعها إلى مؤازرة أو مهادنة الحكم الأموي القائم على الغلبة ، والمستغل الدين ليتحكم برقب الناس، مذكرة إياهم بوصيّة رسول الله، بأنّ الدين مصدره التقلان: كتاب الله وعترة رسول الله، أهل بيته (صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ج ٢، ص ٣٦٢). ليكتشفوا بأنفسهم أنّهم قد خدعوا وغّرّر بهم وأضاعوا دينهم ودنياهם وآخرتهم ، حين خذلوا ابن رسول الله ، ونصرّوا بني أميّة، مما دفعهم من بعد إلى أن يراجعوا حساباتهم ، ويغيّروا من سلوكهم ، ويبحثوا عن السبل التي تمكّنهم من تصحيح الرؤية والسلوك .

يقول خريم راوي خطبة العقيلة ، والشاهد على حال أهل الكوفة بعد سماعهم لخطبتها عليها السلام: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيئاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته، وهو يقول بأبي وأمي كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يُخزى ولا يُبزى لقد ذكرت زينب عليها السلام أهل الكوفة بما غفلوا أو تغافلوا عنه ، ومن هي، ذكرتهم أنها ابنة الذين طهّرهم الله من الرجس تطهيراً ، ومن هو ابن زياد (حفيد سميّة صاحبة الرأيّة وابن مرجانة) ، وغضدت مشروع الإمام الحسين الإصلاحي لأمة جده صلى الله عليه وآله وسلم؛ يدلّ على ذلك التغيير العام الذي طرأ على سلوك أهل الكوفة بعد ذلك ومؤازرتهم للمطالبين بالثأر لشهداء كربلاء ، ووقفهم في وجه الحكام الأمويين المتعاقبين.

### خطبة زينب (ع) بالشام

في الشام قصدت السيدة زينب عليها السلام أن تبدأ خطبتها بآيات من القرآن الكريم، فالكلام ليس موجّهاً إلى يزيد وحده ، وإنما إليه وإلى أهل الشام

المضليلين، الذين لا يعرفون هي مَنْ وابنةٌ مَنْ ، والذين قيل لهم إنّها ومن معها ، أسرى العصبةُ الْخَارِجَةُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الشَّرْعِيِّ " ، لذلك هي تذكره وتُعلمُ أهلَ الشام ، إنّها ومن معها من السبايا هنّ بنات رسول الله ، وأنّه هو ابنُ الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة كرهاً لا طوعاً، وأنّه حفيد آكلة الأكباد، وأنّه مهما فعل لن يمحوا ذكر أهلهَا، وشَتَّانٌ بين شيوخه المشركين الذين هُزِمُوا يوْمَ بَدْرٍ ، وهو يأخذ بثارهم اليوم وبين جَدّها النبِيِّ وآلِهِ ،

لقد شعر يزيد بالخزي أمام جلسائه من خطبة العقيقة،

وما هي إِلَّا لحظاتٌ حتى دخلت زوجةُ يزيدَ هند بنت عبد الله وهي تقول: ويحك يا يزيد، فعلت فعلاً استوجبتك بها النار يوم القيمة، والله، ما أنا لك بزوجة ولا أنت لي ببعـل، فقال لها: ما أنت وآل فاطمة؟! فقالت: بأبيها وبعلها وبنيها هـانا الله وألبـنا هذا القميص (تعني الخلافة)، ويلـاك يا يزيد، بأـي وجهٍ تلقـى الله ورسـولـه؟! فقال يا هـند دعـي هذا الكلام...وتـلا ذلك بعد موـت يـزيد أنـ رـفضـ اـبنـه معاـويةـ الثـانـيـ أنـ يـخـلـفـ أـبـاهـ فـي مـلـكـ اـبـنـيـ عـلـ قـتـلـ اـبـنـ رسولـ اللهـ، وـيدـعـيـ القـتـلـةـ آـنـهـ خـلـفـاؤـهـ.

الحمد لله أنـنا خـلـقـنا في هذا الزـمنـ الذي فـهـمـتـ فيه ثـورـةـ الحـسـينـ وبـطـولـةـ زـينـبـ عليهـما السـلامـ حـقـ الفـهـمـ، وـعـلـىـ هـدـيـهـماـ قـامـتـ الثـورـةـ الإـسـلـامـيـةـ فـيـ إـيـرانـ، وـانتـصـرـتـ المـقاـوـمـةـ فـيـ لـبـنـانـ، لـمـ يـعـدـ الـحـسـينـيـونـ هـمـ الـبـكـأـوـنـ عـلـىـ الـحـسـينـ فـيـ أـيـامـ مـعـدـودـةـ، وـحـينـ تـنـقـضـيـ عـاشـورـاءـ، يـعـودـونـ إـلـىـ الدـنـيـاـ وـمـبـاذـلـهـ، صـارـ الـحـسـينـيـونـ الـحـقـيـقـيـونـ هـمـ الـذـيـ كـسـرـواـ قـيـودـ الذـلـ وـالـهـوـانـ وـالـتـبـعـيـةـ، وـأـسـقـطـوـاـ بـقـيـادـةـ الـإـمـامـ الـخـمـنـيـ الـعـظـيمـ عـرـشـ الطـاوـوسـ، وـعـلـىـ خـطاـهـمـ سـارـ الـمـقاـوـمـوـنـ الـذـينـ دـحـرـوـاـ الـاحـتـلـالـ إـلـسـرـائـيـلـيـ، وـتـصـدـوـاـ لـلـدـوـاعـشـ الـذـينـ أـفـسـدـوـاـ فـيـ الـبـلـادـ وـدـافـعـوـاـ عـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـغـيرـ الـمـسـلـمـيـنـ لـأـنـ النـاسـ فـيـ مـدـرـسـةـ أـهـلـ لـلـبـيـتـ هـمـ إـمـاـ إـخـوـةـ فـيـ الـدـيـنـ أـوـ نـظـائـرـ فـيـ الـخـلـقـ. الـزـينـبـيـاتـ هـنـ أـولـئـكـ النـسـاءـ الـلـوـاتـيـ نـاضـلـنـ وـسـجـنـ فـيـ سـجـونـ الشـاهـ، وـالـلـوـاتـيـ سـرـنـ فـيـ مـقـدـمـةـ الـمـظـاهـرـاتـ السـلـامـيـةـ، وـفـتـحـ اـسـتـشـهـادـهـنـ الـطـرـيقـ لـسـقـوطـ الطـاغـوتـ وـعـودـةـ الـإـمـامـ، وـأـعـادـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ الـمـسـلـمـةـ فـيـ إـيـرانـ كـلـ الـحـقـوقـ الـتـيـ كـانـ قدـ منـحـاـ إـيـاـهـاـ إـلـسـلـامـ، وـلـمـ تـطـبـقـ إـلـاـ فـيـ حـكـومـةـ الـمـدـيـنـةـ؛ الـزـينـبـيـاتـ الـيـوـمـ عـالـمـاتـ ذـرـةـ وـفـيـزـيـاءـ وـمـشـارـكـاتـ فـيـ الـحـكـمـ، وـفـيـ كـلـ شـؤـونـ الـحـيـاةـ الـزـينـبـيـاتـ هـنـ الـلـوـاتـيـ دـفـعـنـ أـوـلـادـهـنـ لـلـدـفـاعـ عـنـ الـثـورـةـ إـلـسـلـامـيـةـ، وـعـنـ الـجـمـهـورـيـةـ إـلـسـلـامـيـةـ، وـهـنـ الـلـوـاتـيـ دـفـعـنـ أـوـلـادـهـنـ لـمـقاـوـمـةـ الـعـدـوـ الـإـسـرـائـيـلـيـ، وـمـقاـوـمـةـ الـأـمـيرـكـيـيـنـ وـالـدـوـاعـشـ فـيـ سـوـرـيـاـ وـالـعـرـاقـ وـلـبـنـانـ، وـمـقاـوـمـةـ الـطـغاـةـ أـيـنـماـ كـانـوـاـ، وـاسـتـقـبـلـنـ جـثـامـيـنـهـمـ بـدـمـعـةـ جـلـيلـةـ وـبـالـتـرـجـيـعـ، اـقـتـدـاءـ بـزـينـبـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ...

